نحاة الأندلس والاحتجاج بالقراءات القرآنية

ويزة أعراب
المجمع الجزائري للغة العربية

Grammarians of Andalusia and the invocation of Quranic readings

Weezah Arab
Algerian Academy of the Arabic Language

الملخص:-

يقول سيبويه إمام النُحاة في مؤلفه المشهور (الكتاب): "إلاَّ أنّ القراءة لا تُخالَفُ لأنّها السُّنَّةُ..."، فلقد كان سيبويه يخطئ اللّغة ولا يخطئ القراءة، فيعتبر القرآن الكريم الأصل الأول الذي استنبطت منه قواعد النّحو العربيّ، ولعل سبب وجود قراءات مختلفة إلّا لوجود حكمة بالغة منها: الاختصار، والتَّفنن في الأسلوب...، من باب التَّنوع لا التَّضاد...، وكذلك من أجل تنبيه الذّهن للتَّأمل، والتّفكير لقوله تعالى: ، ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ ﴿سورة النساء,٨٢ ﴾، فقد اعتمد النُحاة الأوائل النَّص القرآني من أجل الاحتجاج به، فما مكانة القراءات القرآنية عند نحاة الأندلس.

الكلمات المفتاحية: القرآن، القصر، التوكيد.

Abstract:-

Sibawayh, the imam of grammarians, says in his famous book (The Book): “However, the recitation is not violated because it is the Sunnah…”. Except for the existence of a great wisdom, including: the abbreviation, and the embrace in the style ..., as a matter of diversity, not contradiction ..., as well as in order to alert the mind to meditate, and think of the Almighty saying:, “Do not manage the readers, and if there is no one who has been 82 ([Surat Al-Nisa, 82], the first grammarians adopted the Qur’anic text in order to use it as evidence, so what is the status of the Qur’anic readings for the grammarians of Andalusia?.

Keyword: The Qur'an, palace, affirmation.

المقدمة

يعتبر القرآن الكريم وقراءاته المصدر الأول للدِّراسات النّحوية واللّغوية المختلفة، وهو داخل في الأصل الأول من أصول النحو ألا وهو السماع، حيث يقول جميع النحاة بأنّ السّماع هو الأصل الأول من أصول النّحو العربيّ، ولأنّ القرآن الكريم أفصح ما نطقت به العرب، فهو في المرتبة الأولى من حيث الأخذ به من أجل الاحتجاج على صحة القواعد النّحوية، ويأتي الحديث النّبوي الشريف في المرتبة الثانية ومن ثمّ يليه كلام العرب شعره ونثره، ولقد تعددت القراءات واختلف النحاة في أمرها ولم يكونوا على منهج واحد، في الاستدلال والاحتجاج بها، فمنهم من جعل بعض القراءات ضعيفة، أو شاذة، فقط لأنَّها لا توافق القواعد النّحوية الّتي وضعها مذهبه سواء كان بصري أو كوفي أو بغدادي، أو أندلسي، أو مغاربي. ومنهم من وافق الاحتجاج بجميع القراءات مهما كانت، متواترة أو شاذة، أو آحاد، لأنَّ القراءة سنة متبعة، وهذا ما قال به إمام النحاة سيبويه؛ فالقرآن الكريم حجة في اللّغة العربيّة، بجميع قراءاته، فما موقف نحاة الأندلس من القراءات القرآنية؟ وكيف كان توجيههم النّحوي لها؟ يقول الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾﴿سورة المزّمّل,٥﴾ فيجب علينا أن نتدبر أياته ونفهم معانيه، لأنَّه صالح لكل زمان ومكان، وكذلك لقوله تعالى: ، ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ ﴿سورة النساء,٨٢﴾، فهذه محاولة بسيطة ملخصة جداً عن موقف نحاة الأندلس من القراءات، ولم أتوسع في الورقة البحثية بل ذكرت فقط القليل، القليل، لأنّ اهتمام نحاة الأندلس بالقراءات عظيم جداً، ولا يمكن أن تحتويه ورقة بحثية، وعليه فقد ذكرت ملخص عن آراءهم مستدلة في ذلك ببعض النماذج القرائية.

معنى الاحتجاج: "والحجة: البرهان؛ وقيل: الحجة ما دوفع به الخصم؛ وقال الأزهري: الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة. وهو رجل محجاج أي جدل. والتحاج: التخاصم؛ وجمع الحجة: حجج وحجاج. وحاجه محاجة وحجاجا: نازعه الحجة. وحجه يحجه حجا: غلبه على حجته. وفي الحديث: فحج آدم موسى أي غلبه بالحجة. واحتج بالشَّيء: اتَّخذه حجة؛ قال الأزهري: إنَّما سميت حجة لأنَّها تحج أي تقتصد لأنَّ القصد لها وإليها؛ وكذلك محجة الطريق هي المقصد والمسلك. وفي حديث الدجال: إن يخرج وأنا فيكم

فأنا حجيجه، أي محاجه ومغالبه بإظهار الحجة عليه. والحجة: الدليل والبرهان. يقال: حاججته فأنا محاج وحجيج، فعيل بمعنى فاعل."[١] وفي التّعريفات للشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ): "الحجة: ما دلّ به على صحة الدعوى، وقيل الحُجَّة والدليل واحد."[٢]

"الاحتجاج: إثبات شيء بدليل نقلي يعود إلى من يصحّ الاحتجاج به لتوثيق مسألة من المسائل، أو ما يُؤتى به من الكلام الفصيح ليشهد بصحّة العبارة دلاليًا أو نحويًا، ومدى موافقتها أو مخالفتها للعرف اللّغوي."[٣] "حجيج النّحو إذن: براهين تقام من نصوص اللّغة للدلالة على صحة رأي أو قاعدة، والاحتجاج في النّحو معناه: الاعتماد على إقامة البراهين من نصوص اللّغة شعرًا ونثرًا."[٤]

الفرق بين الاحتجاج، والاستشهاد، والتّمثيل: كثير ما يحدث خلط بين هذه المصطلحات، "والتفريق في المادة اللّغوية بين ما يندرج تحت (الاستشهاد أو الاحتجاج) وبين ما يندرج تحت (التّمثيل) يعود إلى نوع النّص ومن أنتجه، فإذا كان النّص من النّوع الذي يعتبر أساسًا للقواعد شعرًا أو نثرًا منسوبًا إلى شاعر موثّق به في عصر الاستشهاد أو إلى قبيلة من القبائل التي وثقت لغاتها فهو لغاتها فهو من النّوع الأول وينبغي تقديسه واحترامه، أما إذا كان النّص مصنوعًا أو غير موثوق بأنّ ساقه النّحوي نفسه أو ساقه عمن لا يحتج بكلامهم، فهو "تمثيل" للقاعدة، وهو غير ملزم، وهدفه الإيضاح والبيان فقط."[٥] "الشواهد في النّحو أخبار قاطعة موثقة يسوقها علماء اللّغة عن النّاطقين باللّغة. والاستشهاد على هذا هو: الإخبار بما هو قاطع في الدّلالة على القاعدة من شعر أو نثر."[٦] "التّمثيل يطلق على ما ليس من كلام العرب من النصوص- بمصطلح النحاة- متجاوزًا عصر التوثيق للّغة أو مصنوعًا للبيان والإيضاح."[٧] "كلام العرب الموثق – من جهة نظر علماء اللّغة - فيرد تحت "الاستشهاد والاحتجاج" وما يشتق منهما مما ينبغي أن نحدد المقصود به في كليهما."[٨] "حجيج النّحو إذن: براهين تقام من نصوص اللّغة للدلالة على صحة رأي أو قاعدة، والاحتجاج في النّحو معناه: الاعتماد على إقامة البراهين من نصوص اللّغة شعرًا ونثرًا."[٩]

مفهوم الاحتجاج للقراءات: يقول البغدادي: "فكلامه – عز اسمه – أفصح كلام وأبلغه، ويجوز الاستشهاد بمتواتره وشاذه..."[١٠] و"الاحتجاج للقراءة فنٌّ من فنون القراءات، ارتبط تطوُّره بها منذ بدأت حروفًا متفرقة إلى أن صارت علمًا مستقلاً، فقد كان في أوّل عهده غضًّا، يقتصر على المشابهات القريبة الّتي تُعقَد بين القراءات - أو سائر أساليب اللّغة

- في اللّفظ أو المعنى أو التّركيب."[١١] ويقول أيضًا: "ومنذ هذه الحقبة بدأت كتب الاحتجاج المستقلة بالظهور، فكان منها كتاب المبرد، ثم توالَت بعده المصنفات، ولا سيما بعد أن أطلَق أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد (ت٣٢٤ه) مقياسه التّاريخي؛ إذ أسرع عدد من العلماء إلى تأليف الكتب فيه، فقد وضع كل من أبي بكر محمد بن السري (ت٣١٦ه)، وأبي طاهر عبد الواحد البزاز (ت٣٤٩ه)، ومحمد بن الحسن الأنصاري (ت٣٥١هـ)، وأبي علي الفارسي (ت٣٧٧هـ)، ومكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧ه)- كتابًا مستقلًّا في هذا الشأن، فأصبح بذلك الاحتجاج للقراءة علمًا قائمًا بذاته، له أصول وأدوات، وعلماء يَنصرفون إليه".[١٢] ولقد "عرفت كتب الاحتجاج تسميات أخرى، نحو: (وجوه القراءات، علل القراءات، ومعاني القراءات، وإعراب القراءات، وتوجيه القراءات."[١٣] ويقول في التآليف للاحتجاج للقراءات أنّه: ""بدأ الاحتجاج للقراءات أول العهد به غضًّا يسيرًا، كدأب كل ناشئ يقبل النمو والتطور، فكان قليلًا مفرَّقًا لا يستوعب قراءة بعينها ولا عددًا من القراءات، وكان يعتمد على القياس وحمل القراءة على قراءة أخرى لمشابهة بينهما، إما في مادة اللفظ المختلَف في قراءته، وإما في بنيته، ثم أخذ يتجه مع ذلك إلى التخريج والاستشهاد... وبعد، فكأنما كان تأليف القراء الكتب في جمع القراءات ونسبتها والبحث عن أسنادها داعيًا لعلماء اللغة أن يؤلفوا الكتب في الاحتجاج لها، فقد مُهدت أمامهم السبيل، ومُدت لهم الأسباب، فكان جمع القراءات الخطوة الأولى والاحتجاج لها الخطوة التالية، والله أعلم."[١٤]

تعريف القراءات:

أ- لغتًا: "معنى قرأتُ القرآن: لَفَظْت به مَجْمُوعًا، أي: أَلقيته."[١٥]

ب- اصطلاحًا: "القراءات علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعَزْو الناقلة"[١٦]. وكذلك هي" علم يُعرف به اتفاق النّاقلين لكتاب الله، واختلافهم في اللّغة والإعراب والحذف، والإثبات والتّحريك والإسكان، والفصل والاتصال"[١٧]. وخلص التواتي إلى القول: "إنَّ القراءة هي ما ينسب لإمام من الأئمة أمّا الرواية فهي ما ينسب لآخذ عن الإمام ولو بواسطة، أمّا الطريق هي ما ينسب لمن أخذ عن الرواة وإن سفل، ..."[١٨]

القراءات السبع: هي القراءات الّتي جمعها ابن مجاهد (ت٣٢٤ه) باختياره الخاص فاشتهرت عنه. ويقول ابن الجزري (ت٨٣٣ه):"... وعلى أنّه لا يجوز أن يكون المراد من

الأحرف السبعة هؤلاء السبعة القراء المشهورين وإن كان يظن بعض العوام، لأنّ هؤلاء السبعة لم يكونوا خلقوا ولا وجدوا؛ وأوّل من جمع قراءاتهم أبو بكر بن مجاهد في أثناء المائة الرابعة..."[١٩]

شروط القراءة: يقول أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش(ت٤٣٧ه): "فإن سأل سائل فقال: فما الّذي يقبل من القراءات الآن، فيقرأ به؟ وما الّذي لا يقبل، ولا يقرأ به؟ فالجواب: أنَّ جميع ما روي من القراءات على ثلاثة أقسام:

قسم يقرأ به اليوم، وذلك ما اجتمع فيه ثلاث خِلال، وهي:

- أن ينقل عن الثقات إلى النّبيّ ﷺ؛
- ويكون وجهه في العربيّة، الّتي نزل بها القرآن شائعًا؛
- ويكون موافقا لخطّ المصحف.

-فإذا اجتمعت فيه هذه الخلال الثلاث قرئ به، وقطع على مغيبه وصحته وصدقه، لأنَّه أخذ عن إجماع من جهة موافقته لخط المصحف، وكفر من جحده.

والقسم الثاني: ما صح نقله في الآحاد، وصح وجهه في العربيّة، وخالف لفظه خط المصحف.

فهذا يقبل، ولا يقرأ به لعلتين:

إحداهما: أنَّه لم يؤخذ بإجماع، إنَّما أخذ بأخبار الآحاد، ولا يثبت قرآن يقرأ به بخبر الواحد.

والعلة الثانية: أنَّه مخالف لما قد أجمع عليه، فلا يقطع على مغيبه وصحته، وما لم يقطع على صحته لا تجوز القراءة به، ولا يكفر من جحده، وبئس ما صنع إذ جحده.

والقسم الثالث: هو ما نقله غير ثقة، أو نقله ثقة ولا وجه له في العربيّة. فهذا لا يقبل وإن وافق خط المصحف."[٢٠] ويقول أبو عمرو الداني في قوله:" وأئمة القرَّاء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللّغة، والأقيس في العربيّة، بل على الأثبت في الأثر والأصح في النَّقل، والرِّواية إذا ثبتت عندهم لم يردَّها قياس عربيّة، ولا فُشوُّ لغة، لأنَّ القراءة سُنة مُتَّبعة يَلزَم قَبولها والمصيرُ إليها".[٢١]" كل قراءة وافقت العربيّة ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا وصح سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس

قبولها، سواء كانت عن الأئمة السبعة، أم عن العشرة، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة، سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم، هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف، صرح بذلك الإمام الحافظ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، ونص عليه في غير موضع الإمام أبو محمد مكي بن أبي طالب، وكذلك الإمام أبو العباس أحمد بن عمار المهدوي، وحققه الإمام الحافظ أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة، وهو مذهب السلف الذي لا يعرف عن أحد منهم خلافه.[٢٢]

القراء العشر ورواتهم:

جدول ١: القراء العشر ورواتهم

الأئمة العشرة		أشهر رواتهم
المدينة	نافع الليثي (ت١٦٩هـ): نافع بن عبد الرحمن بن أبي نُعيم الليثي الكناني مولى جعونة بن شعوب الليثي الكناني،...	ورش المصري (ت١٩٧هـ): أبو سعيد عثمان بن سعيد بن عبد الله بن عمرو بن سليمان،...
		قالون بن مينا (ت٢٢٠هـ): أبو موسى بن مينا بن وردان بن عيسى بن عبد الصمد بن عمر بن عبد الله الزرقي مولى بن زهرة،...
مكة المكرمة	ابن كثير (ت١٢٠هـ): عبد الله بن كثير بن عمرو بن عبد الله بن زادان بن فيروز بن هرمز، ...	أبو الحسن البزي(ت٢٥٠هـ): أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن أبي بزة، ...
		قنبل المخزومي(ت٢٩١هـ): هو محمد بن عبد الرحمن بن خالد بن محمد بن سعيد المخزومي المكي،...
البصرة	أبو عمر المازني (ت١٥٤هـ): أبو عمرو بن العلاء بن عمار المازني التميمي،..	أبو عمرو الدوري (ت٢٤٦هـ): حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صُهبان بن عدي بن صهبان الدوري الأزدي البغدادي، ...
		أبو شعيب السوسي (ت٢٦١هـ): أبو شعيب صالح بن زياد بن عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم بن الجارود بن مسرح الرستبي السوسي الرقي،...
الشام	ابن عامر اليحصبي (ت١١٨هـ): عبد الله بن عامر يزيد بن تميم بن ربيعة، أبو عِمْران على الأصح، اليَحْصُبيّ الدِّمَشْقيّ،...	عبد الله بن ذكوان (ت٢٤٢هـ): وأبو عمرو عبد الله بن أحمد بن بشير ويقال بن ذكوان بن عمرو بن حسان بن داود بن حسنون بن سعد بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر وأبو محمد القرشي الفهري الدمشقي،...
		هشام السلمي (ت٢٤٥هـ): هشام بن عمار بن نُصير بن ميسرة بن أبان السلمي ويقال: الظفري،أبو الوليد الدمشقي، السلمي،...
الكوفة	عاصم الأسدي (ت١٢٧هـ): عاصم بن أبي النَّجُود أو عاصم القارئ،...	حفص البزاز (ت١٨٠هـ): فص بن سليمان بن المغيرة بن أبي داود الأسدي الكوفي الغاضري البزّاز، ...
		شعبة بن عياش (ت١٩٣هـ): أبو بكر بن عيّاش المقرئ،...
الكوفة	حمزة الزيات (ت١٥٦هـ): حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل التُّرْفُيّ ...	خلاد الصيرفي (ت٢٢٠هـ): خلاد بن خالد الشيباني الصيرفي الكوفي وكنيته أبو عيسى وقيل أبو عبد الله، ...
		خلف البزاز (ت٢٢٩هـ): خلف بن هشام بن ثعلب بن خلف الأسدي البغدادي البزاز،...

الأئمة العشرة		أشهر رواتهم
الكوفة	علي الكسائي (ت١٨٩هـ): أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن عثمان الكسائي،...	أبو الحارث الليث البغدادي (ت٢٤٠هـ): أبو الحارث الليث بن خالد المروزي البغدادي،...
		أبو عمرو الدوري (ت٢٤٦هـ): أبو عمرو حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صُهبان بن عدي بن صهبان،...
المدينة	أبو جعفر المدني (ت١٣٠هـ): فيروز بن القعقاع، مولى عبد الله بن عيّاش بن أبي ربيعة المخزومي،...	ابن وردان (ت١٦٠هـ): أبو الحارث عيس بن وردان المدني، لقبه الحذاء،
		ابن جماز (ت١٧٥هـ): أبو الرَّبيع سليمان بن محمد بن مسلم بن جماز،..
البصرة	يعقوب بن إسحاق (ت٢٠٥هـ): يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي البصري،...	رويس (ت٢٣٨هـ): أبو عبد الله محمد بن المتوكل اللؤلؤي البصري،...
		روح (ت٢٣٥هـ): أبو الحسن روح بن عبد المؤمن الهذلي البصري،...
الكوفة	خلف البزاز (ت٢٢٩هـ): أبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب بن خلف الأسدي البغدادي،...	إسحاق (ت٢٨٦هـ): أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن عثمان بن عبد الله المروزي،...
		إدريس (ت٢٩٢هـ): أبو الحسن إدريس بن عبد الكريم الحداد البغدادي،...

منهج نحاة الأندلس مع القراءات: كما أسلفنا الذكر عن قيمة القرآن الكريم وأهمية القراءات المختلفة عند النّحاة، فكذاك نحاة الأندلس أعطوا أهمية كبيرة لها فقد وضعوها في مكانها اللائق بين الأدلّة النّحوية المختلفة، فقد اعتمد نحاة الأندلس على القراءات القرآنية في دعم ما يقرون وما يردون من القواعد النّحوية، وما يرجحون منها من آراء، وما يثبتون بها لغة من لغات العرب، ولقد اعتمد نحاة الأندلس في استشهادهم بالقراءات القرآنية على إسناد القراءة إلى أصحابها، وذكرهم على حسب عددهم وبأسمائهم؛ أو عدم إسنادها إلى أصحابها. مثلما فعل ابن مالك مثلا في باب النعت في قوله ﴿ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴾ ﴿سورة القمر,٧﴾ وهي قراءة أبى عمرو وحمزة والكسائي، (وخُشّعاً أبصارهم) وهي قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم"[٢٣]. وقال أيضًا في باب عوامل الجزم: "وبلغنا أنَّ بعضهم قرأ: ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿سورة البقرة,٢٨٤﴾ وإلى هذا أشرت بقولي:

.....	❖❖❖	ونصبه بنقل عمرو قد عرف

قرأ بالرَّفع، عاصم، وابن عامر، وبالجزم نافع وابن كثير وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي"[٢٤]. وكذلك كان الغالب عند أبي علي الشلوبين نسبة القراءة إلى أصحابها ففي شرحه على مفصل الزمخشري بلغت شواهد القراءات فيه خمس عشرة قراءة، نسب منها إحدى عشرة قراءة، وكذلك كان الحال عند ابن عطية في المحرر الوجيز، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن، وابن خروف في شرح الجمل، وابن حيان الأندلسي(ت٧٤٥هـ)خاصة في البحر المحيط؛ في حين كان الغالب عند الأعلم في كتابه النكت، والمالقي عدم اسناد القراءة إلى أصحابها.

دفاع نحاة الأندلس عن القراءات: ولم يقف نحاة الأندلس عند حد الاستشهاد بالقراءات القرآنية فحسب بل دافعوا عنها ضد من حاول الطعن فيها، أو ردها، أو وصفها بالضعف. حيث يقول السيوطى مثنيًا على موقف ابن مالك من القراءات القرآنية: "كان قوم

من النحاة المتقدمين يعيبون على عاصم، وحمزة، وابن عامر قراءات بعيدة في العربيّة، وينسبوهم إلى اللحن. وهم مخطئون في ذلك، فإن قراءاتهم ثابتة بالأسانيد المتواترة الصحيحة، الّتي لا مطعن فيها، وثبوت ذلك دليل على جوازه في العربيّة وقد ردّ المتأخرون، منهم ابن مالك على من عاب عليهم ذلك بأبلغ ردّ، واختار جواز ما وردت به قراءاتُهم في العربيّة، وإن منعه الآخرون مستدلا به"[٢٥]. كما يشيد عباس حسن بموقف ابن مالك في هذا المجال مجال الاستشهاد بالقراءات والاعتداد بها فيقول: "أجمعت النصوص في المزهر، وفي الإتقان، وفي المواهب الفتحية على أنّ القرآن الكريم موضع الاستشهاد والاحتجاج بكلامه جملة وتفصيلا و لكنّها صرحت في بعض نواحيها أنّه قد يحوى القياس وغير القياس أي المطرد والشاذ فكيف نفرق بين الأمرين؟ لقد حاك في نفسى من هذا شيء كبير، ولم أجد للسؤال جوابا أطمئن إليه حتى اهتديت إلى رأي الإمام العظيم ابن مالك، فقد أهمه ما أهمني من ذلك التناقض وداخله ما داخلني فلم يتردد في اتباع ما يقضي به المنطق المعقول من التعويل على اللّفظة الواحدة تأتي في القرآن ظاهرها جواز ما يمنعه النُّحاة فيعوّل عليها في الجواز ومخالفة الأئمة، وربما رجح ذلك بآيات مشهورة فأكبرته وارتاحت نفسى لرأيه"[٢٦]. حيث اتضح موقفه بجلاء فيما مضى كنيابة غير المفعول مع وجوده، والعطف على الضمير المجرور المتصل من غير إعادة الجار، والفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف والجار والمجرور وغيرها. وقد ذكر أبو حيان في البحر المحيط رده على الزمخشري فيقول: وأعجب لعجمي ضعيف في النحو يرد على عربي صريح محض قراءة متواترة موجودا نظيرها في لسان العرب في غير ما بيت وأعجب لسوء ظن الرجل بالقراء الأئمة الذين تخيرتهم هذه الأمة لنقل كتاب الله شرقًا وغربًا وقد اعتمد المسلمون على نقلهم لضبطهم ومعرفتهم وديانتهم."[٢٧] وفي معرض حديثه عن قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ ﴿سورة النساء,١﴾ قال عن قراءة الجر: والقراءة الثانية في السبعة: (تساءلون به والأرحام) أي وبالأرحام وتأويلها على غير العطف على الضمير مما يخرج الكلام عن الفصاحة فلا يلتفت إلى التأويل، قرأها ابن عباس، ومجاهد، وقتاده، والنخعي، ويحي بن وثاب، والأعمشي، وأبى رزين، وحمزة، ومن ادعى اللحن فيها أو الغلط على حمزة فقد كذب

على حمزة، وقد ورد من ذلك في أشعار العرب كثير يخرج أن يجعل ذلك ضرورة"[٢٨]. ثم يقول أيضًا: "... وإنما ذكرت هذا وأطلت فيه لئلا يطلع عمر على كلام الزمخشري وابن عطية في هذه القراءة فيسيء ظنا بها وبقارئها، فيقارب أن يقع في الكفر بالطعن في ذلك. ولسنا متعبدين بقول نحاة البصرة ولا غيرهم ممن خالفهم، فكم حكم ثبت بنقل الكوفيين من كلام العرب لم ينقله البصريون، وكم حكم ثبت بنقل البصريين لم ينقله الكوفيون، وإنَّما يعرف ذلك من له استبحار في علم العربيّة، لا أصحاب الكنانيس المشتغلون بضروب من العلوم الآخذون عن الصحف دون الشيوخ."[٢٩] يقول أبو حيان: والقراءة سنة متبعة وفيها الفصيح والأفصح، وكل ذلك من تيسيره تعالى القرآن للذكر، فلا التفات لقول أبى على والزمخشري"[٣٠] فالقراءة عندهم سنة متبعة، فقد وضع نحاة الأندلس القرآن الكريم على رأس المصادر الّتي يرجعون إليها ويعتمدون عليها، لا فرق بين قراءة متواترة وغيرها، إذ القراء لا يأتون بشيء من نسج خيالهم، بل يلتزمون ما نزل على النبي ﷺ ، "فقال أعني الداني: والإسكان أصح في النقل وأكثر في الأداء وهو الذي أختاره وآخذ به، ثم لما ذكر نصوص رواته قال: وأئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة والأقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل والرواية إذا ثبت عنهم لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة ؛ لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها. قلنا: ونعني بموافقة أحد المصاحف ما كان ثابتا في بعضها دون بعض كقراءة ابن عامر (قالوا اتخذ الله ولدا) في البقرة بغير واو، وبالزبر وبالكتاب المنير بزيادة الباء في الاسمين ونحو ذلك، فإن ذلك ثابت في المصحف الشامي، وكقراءة ابن كثير جنات تجري من تحتها الأنهار في الموضع الأخير من سورة براءة بزيادة (من) ، فإن ذلك ثابت في المصحف المكي، وكذلك فإن الله هو الغني الحميد."[٣١] وتقول خديجة الحديثي (ت٢٠٢١م): "أما أبو حيان فقد وقف موقفًا وسطًا بين المدرستين، فلم يتشدَّد فيها تشدُّد البصريين، فيَرفض كلَّ ما خالَف القواعد والأقْيسَة الّتي بنَوها، ولم يتساهل تساهُلَ الكوفيين وابن مالك، فيَعتمد على الشّاذ منها، أو على ما تفرَّد بقراءته شخصٌ لا يَعرِف من القراءة شيئًا، وكان يعتمد على صحة القراءة وتواتُرها، فهو يرى أنّ القراءات قد جاءت على لغة العرب قياسها وشاذها، ولكن لا يجوز أن يُؤخذ بجميعها، إنَّما يجب الأخذ بما صحَّت روايته منها، لذلك نجده يأخذ بقراءة السبعة ويعتمد عليها، ويبني القاعدة على ما وردت به هذه القراءة، حتى ولو كانت مخالفة

لنصوص النُّحاة البصريين وأقْيستهم، لأن القرَّاء السبعة عربٌ أفْحاح عُدول، تلقَّى أكثرهم القراءة عن الصحابة، فأعلى القراءات وأصحها عنده ما أجمعت عليه السبعة"[٣٢]. ويقول عبد العزيز الدليمي: "وقف أبو حيان من القراء والقراءات موقف يُحمَد عليه، وبعَث في قلوبنا الإجلال والإكبار، وكان موقفه يتلخَّص في دفاعه عن القراء والقراءات، ففي قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ سورة الأنعام,١٣٧﴾ قرأ ابن عامر بنصب (أولادَهم)، وجرِّ (شركائهم)، ففصَل بين المصدر المضاف إلى الفاعل بالمفعول، فردَّها الزمخشري، وردَّ عليه أبو حيان بقوله: وأعجب لعجمي ضعيف في النّحو يرد على عربيّ صريح مَحض قراءة متواترة ... وأعجب لسوء ظن هذا الرجل بالقرَّاء الأئمة الّذين تخيَّرتْهم الأمة لنقْل كتاب الله شرقًا وغربًا."[٣٣] ويعتبر كتاب "تفسير البحر المحيط" كتاب رائع لمن يريد التعمق في القراءات فهو مرجع مهم جدا، ويتسم بالسعة والشُّمول، إلى درجة معتبرة من حيث الدّقة والتّوجيه والاختيار، فقد كان يذكر الكثير من الأقوال عن مذاهب مختلفة ومن ثم يقوم بانتقادها، وهذا الأمر أستحسنه عند علماء الأندلس فهم يشجعوننا الأن على التّفكير والنّقد، بالبينّة والحجة، والسعي دائما للأفضل وتقديم البديل. في قوله: "ولسنا متعبدين بأقوال نحاة البصرة."[٣٤] وهذا تصريح صريح.

الخلاصة: لقد استطاع نحاة الأندلس الحديث عن القراءات القرآنية بمنهج بسيط، يسر، غير معقد، معتمدين في ذلك على حججهم البليغة، ووعيهم بجمبع القراءات، فقد احتجوا بالمتواتر منها، ولم يهملوا الشاذ، وذلك من أجل اقرار القواعد النّحوية، وتقويم أراءهم، والدِّفاع عن القراء والقراءات بتقديم حجج مقنعة، فالقراءة عندهم سنة متبعة.

هوامش البحث

(١) محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين، ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، (ت٧١١ه)، لسان العرب، ج٢، ط٣، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤١٩ هـ -١٩٩٩م، ص٢٢٨.

(٢) الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ)، معجم التعريفات: تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، ص٧٣.

(٣) صالح بلعيد، الاحتجاج اللّغوي، مجلة المجمع الجزائري للّغة العربيّة، عد:١، ماي٢٠٠٥م، المجمع الجزائري للّغة العربيّة، الجزائر، ص٤٧.

(٤) محمد عيد، الاستشهاد والاحتجاج باللّغة، رواية اللّغة والاحتجاج بها في ضوء علم اللّغة الحديث، ١٩٨٨م، عالم الكتب، دار الشرق الأوسط للطباعة، العطار وشركاه، القاهرة، ص٨٦.

(٥) محمد عيد، الاستشهاد والاحتجاج باللغة، رواية اللغة والاحتجاج بها في ضوء علم اللّغة الحديث، ص٨٥.

(٦) محمد عيد، الاستشهاد والاحتجاج باللغة، رواية اللغة والاحتجاج بها في ضوء علم اللّغة الحديث، ص٨٦.

(٧) محمد عيد، الاستشهاد والاحتجاج باللغة، رواية اللغة والاحتجاج بها في ضوء علم اللّغة الحديث، ص٨٦.

(٨) محمد عيد، الاستشهاد والاحتجاج باللغة، رواية اللغة والاحتجاج بها في ضوء علم اللّغة الحديث، ص٨٦.

(٩) محمد عيد، الاستشهاد والاحتجاج باللغة، رواية اللغة والاحتجاج بها في ضوء علم اللّغة الحديث، ص٨٦.

(١٠) عبد القادر بن عمر البغدادي (ت١٠٩٣هـ)، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة،ج١، ط٤، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ص٩

(١١) القراءات الشاذة وتوجيهها النَّحوي، محمود أحمد الصغير، دار الفكر، ١٩٩٩م، دمشق، سوريا، ص٢٠٥.

(١٢) القراءات الشاذة وتوجيهها النَّحوي، محمود أحمد الصغير، ص٢٠٥-٢٠٦.

(١٣) عبد البديع النيرباني، الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات، دار الغوثانى، دمشق، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، ص١٤، نقلًا عن: محقق الهداية٢١/١، وتوجيه العشرية لغة وتفسيراً وإعرابًا، عبد العزيز بن علي الحربي، دار ابن حزم، الرياض، ط١، ٢٠٠٣م، ص٦٧، وزاد فيه (تخريج القراءات)، وهي تسمية محدثة.

(١٤) أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت٣٩٢هـ)، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تح: على النّجدى ناصف، عبد الحليم النّجار، عبد الفتاح اسماعيل شلبي، ط٢، دار سَزكين للطباعة والنّشر، ١٤٠٦ه-١٩٨٦م، ص.،ص٨- ١٠.

(١٥) لسان العرب، ابن منظور، ج١، ص١٢٨.

(١٦) محمد بن محمد بن يوسف شمس الدين أبو الخير، ابن الجزري (ت٨٣٣هـ)، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، دار الكتب العلميَّة، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ص٣.

(١٧) أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني، أبو العباس، (ت٩٢٣هـ)، لطائف الإشارات لفنون القراءات، تح: مركز الدِّراسات القرآنية، ج١، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٣٤هـ، ص١٧٠.

(١٨) التواتي بن التواتي، القراءات القرآنية تعريفها وأوجه اختلافها، مجلة المجمع الجزائري للّغة العربيّة، عد:٩ ، المجمع الجزائري للّغة العربيّة، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م، ص١٤٤.

(١٩) الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي، ابن الجزري (ت٨٣٣ه)، النشر في القراءات العشر، علي محمد الضباع (ت١٣٨٠هـ)، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص٢٤.

(٢٠) الإبانة عن معاني القراءات، تح: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ص٥١-٥٢.

(٢١) النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، ج١، ص١٠.

(٢٢) النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، ج١، ص٩.

(٢٣) محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (ت٦٧٢هـ)، شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ، تح: عدنان عبد الرحمن الدوري، ج١، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م، ص٥٤٠.

(٢٤) محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (ت٦٧٢هـ)، شرح الكافية الشافية، تح: عبد المنعم أحمد هريدي، ج٣، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشّريعة والدِّراسات الإسلامية مكة المكرمة، ص١٦٠٣-١٦٠٤.

(٢٥) محمود فجال، الإصباح في شرح الاقتراح، ط١، دار القلم، دمشق، ١٤٠٩ه- ١٩٨٩م، ص٦٩.

(٢٦) عباس حسن، رأي في بعض الأصول اللغوية، مطبعة العالم العربي بالقاهرة، ١٣٧١ه-١٩٥١م، ص٤٥.

(٢٧) أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، البحر المحيط في التفسير، تح: صدقي محمد جميل، ج٤، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ، ص٦٥٨.

(٢٨) أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، البحر المحيط في التفسير، ج٢، ص٣٨٧.
(٢٩) أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، البحر المحيط في التفسير، ج٣، ص٥٠٠.
(٣٠) أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، البحر المحيط في التفسير، ج٨، ص٥٢٣.
(٣١) شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت٨٣٣هـ)، النشر في القراءات العشر، ص١٩-١١.

(٣٢) خديجة الحديثي، الشّاهد وأصول النّحو في كتاب سيبويه، مطبوعات جامعة الكويت، ١٣٩٤ه- ١٩٧٤م، ص٤٩.
(٣٣) الدّراسات النّحويَّة واللّغوية في البحر المحيط، عبد العزيز الدليمي، ١٤١٣ه- ١٩٩٢م، ص٨٥.
(٣٤) أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، البحر المحيط في التفسير، ج٥، ص١٥.

قائمة المصادر والمراجع

١- أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت٣٩٢هـ)، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تح: على النّجدى ناصف، عبد الحليم النّجار، عبد الفتاح اسماعيل شلبي، ط٢، دار سَزكين للطباعة والنّشر، ١٤٠٦ه-١٩٨٦م؛
٢- أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، البحر المحيط في التفسير، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ؛
٣- أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت٤٣٧هـ)، الإبانة عن معاني القراءات، تح: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر للطبع والنشر؛
٤- أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني، أبو العباس، (ت٩٢٣هـ)، لطائف الإشارات لفنون القراءات، تح: مركز الدِّراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٣٤هـ؛
٥- التواتي بن التواتي، القراءات القرآنية تعريفها وأوجه اختلافها، مجلة المجمع الجزائري للّغة العربيّة، عد:٩ ، المجمع الجزائري للّغة العربيّة، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م؛

٦- الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي، ابن الجزري (ت٨٣٣ه)، النشر في القراءات العشر، تح: علي محمد الضباع (ت١٣٨٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان؛
٧- خديجة الحديثي، الشّاهد وأصول النّحو في كتاب سيبويه، مطبوعات جامعة الكويت، ١٣٩٤ه-١٩٧٤م،
٨- الشريف الجرجاني (ت٨١٦ه)، معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة؛
٩- صالح بلعيد، الاحتجاج اللّغوي، مجلة المجمع الجزائري للّغة العربيّة، عد:١، ماي٢٠٠٥م، المجمع الجزائري للّغة العربيّة، الجزائر؛
١٠- عباس حسن، رأي في بعض الأصول اللغوية، مطبعة العالم العربي بالقاهرة، ١٣٧١ه-١٩٥١م؛
١١- عبد البديع النيرباني، الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات، دار الغوثانى، دمشق، ١٤٢٧ه-٢٠٠٦م،
١٢- عبد العزيز الدليمي، الدّراسات النّحويَّة واللّغوية في البحر المحيط، ١٤١٣ه- ١٩٩٢م؛
١٣- عبد القادر بن عمر البغدادي (ت١٠٩٣هـ)، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م،
١٤- محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (ت٦٧٢هـ)، شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ، تح: عدنان عبد الرحمن الدوري، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م؛
١٥- محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (ت٦٧٢هـ)، شرح الكافية الشافية، تح: عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشّريعة والدّراسات الإسلامية مكة المكرمة؛
١٦- محمد بن محمد بن يوسف شمس الدين أبو الخير، ابن الجزري (ت٨٣٣هـ)، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، دار الكتب العلميَّة، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م؛
١٧- محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين، ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، (ت٧١١ه)، لسان العرب، ط٣، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤١٩ هـ -١٩٩٩م؛
١٨- محمد عيد، الاستشهاد والاحتجاج باللّغة، رواية اللّغة والاحتجاج بها في ضوء علم اللّغة الحديث، ١٩٨٨م، عالم الكتب، دار الشرق الأوسط للطباعة، العطار وشركاه، القاهرة؛
١٩- محمد عيد، الاستشهاد والاحتجاج باللغة، رواية اللغة والاحتجاج بها في ضوء علم اللّغة الحديث، ١٩٨٨م، عالم الكتب، دار الشرق الأوسط للطباعة، العطار وشركاه، القاهرة؛

٢٠- محمود أحمد الصغير، القراءات الشاذة وتوجيهها النَّحوي، دار الفكر، ١٩٩٩م، دمشق، سوريا؛ محمود فجال، الإصباح في شرح الاقتراح، ط١، دار القلم، دمشق، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.